المفردة القرآنية
بين الأصل اللغوي والمعنى الشرعي

د. حيدر علي نعمة

كلية الآداب/ الجامعة العراقية

١٤٣٣هـ

تناول هذا البحث جانباً من ن المفردة اللغوية والقرآنية؛ تلك هي تجاذبها من قبل أكثر من د ظفر بها الدلالة الأصلية اللغوية، وتظفر بها حيناً آخر الدلالة الشرعية القرآنية؛ إذ إنَّ هناك طائفة من الألفاظ اللغوية احتفظت بمعانيها اللغوية الأصلية مع مجيئها في نصوص شرعية، ولم يجُزْ تفسيرها بغير المعاني التي صُبَّتْ عليها سلفاً.. كما إنَّ هناك طائفة أخرى منها خرجتْ إلى معانٍ إسلامية شرعية خاصة، مع احتفاظها بخيط رابط - مهما دقَّ - يصلها بمعانيها الأصلية التي انحدرتْ منها، وتأرجح بين الطائفتين لونٌ ثالث من الألفاظ التي تآزرتْ فيها الدلالاتُ جميعاً - اللغوية الأصلية، والشرعية التبعية - لأداء رسالتها اللغوية القرآنية السَّامية؛ فجاء البحث على مبحثين: تعرَّض **الأول** منهما لبيان مكانة اللغة العربية وأثرها في

فقه معاني القرآن الكريم، في حين سيق **المبحث الثاني** لعقد موازنة بين المعاني اللغوية الأصيلة والمعاني الشرعية الجديدة.. وجاءت الخاتمة لسرد أهم النتائج التي تناولها البحث، تتلوها قائمة للمصادر والمراجع التي أفاد منها..

Summary

This research addressed some of the most important characteristics of the Qur'anic words lingual word ; that is replaced by more than significant; One moment command the significance of the original language, and gain the Their significance altogether legitimate Quranic; because there is a range of linguistic terms Retained the original language with the meanings coming in the texts of legitimacy, it is not permissible interpretation Without the meanings that poured in advance.. There is also a host of others went out to them The legitimacy of a private Islamic meanings, while retaining a thread link - no matter how may - arrive meanings

Originally passed down to them, and bi-swing third color of the terms that
Tazrt where all signs -
language original, legitimate dependency - to perform
Its language Quranic Commissioner; came on two part of search: Displays the first two
To indicate the status of the Arabic language and its impact on the jurisprudence of the Qur'an, while the driven
The second topic for a balance between linguistic meanings and the meanings inherent legitimacy
New .. Conclusion came to list the most important results that addressed the research, followed by
List of sources and references that have served.

مقدِّمة

الحمد لله حمداً ليس لإحصائه تعداد، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعباد، العاكف منهم والباد، خير من نطق بالضاد، وأفضل من دلَّ على سبيل الرشاد: نبينا محمَّد العربي الأمي المقداد، وعلى آله: أصحابه وأزواجه وأحبابه الذين معه ممن آثروا طريق السلامة والسداد، وبعد..

فممَّا هو مُسلَّمٌ به أنَّ كلَّ ما يجري في هذا الكون إنما يكون على وفق ما تقتضيه حكمة الحقِّ سبحانه وتعالى، وهو أعلم بحكمته.. إلا إننا نستطيع أنْ نتلمَّس أهمَّ الأسباب الظاهرة التي تُبيِّن الحكمة في □ختيار لغة العرب لغة للشريعة الإسلامية الغرَّاء العامة الشاملة.. ولعلَّ من أبرز مكامن تلك الحكمة: حيازة العربية على مرتبة السبق بين أخدانها من سائر لغات أهل الأرض؛ من خلال تفضيل الله عزَّ وجلَّ لها؛ لتفرُّدها بجملة من الخصائص النفيسة التي

شرفتْ بها، وعلا شأنها، وبلغتْ من السُّموق شأواً لا تدانيها فيه أية لغة أخرى..

ولكنَّ ذا المكان وتي المكانة لا يعنيان بحال التفرُّد والاستقلال دائماً بما تُوحيه تلك اللغة وما تُمليه قواعدُها وأحكامها من معانٍ ودلالات يُستنار بها في تفسير نصوص الشرع وفهم مراداتها، ولا يلغيان كثيراً من الخصوصيات التي متازتْ بها طائفة من تلك النصوص الحكيمة، ولا يستأثران بها دونها؛ بلْ قد تأتي بعض مفرداتها - كما سيأتي معنا في أثناء هذا البحث - بالمعنى اللغويِّ الأصليِّ دون المعنى الشرعيِّ الحادث، وقد يكون العكس، وهاتان الصورتان قد وردتا في الكتاب العزيز على نطاقٍ محدود.. وقد يتَّحد المعنيان ويشتركان ويتكاملان في أداء المعنى الحكيم للمفردة والنصِّ برمَّته، وقد رسمتْ هذه الصورة معظم الملامح الدلالية والمعنوية في القرآن المجيد..

والذي يتحتَّم علينا فهمُه وإدراكه في هذا المقام الخطير أنَّ من يريد فهم القرآن الكريم على نحوٍ صائب؛ فلا يسعه إلا أنْ يكون على معرفةٍ ودراية باللغة العربية.. كما كانتْ سُنَّة الله عزَّ وجلَّ في خلقه أن يُرسل كلَّ رسول بلسان قومه؛ حتَّى يحصل المقصود من الرسالة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴿٤﴾ [سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ]..

إنَّ معرفة أحكام اللغة العربية شرط في فهم القرآن الكريم، ومعرفة دلالات ألفاظه وتراكيبه؛ لأن مَنْ رام تدبُّره أو تطلَّع إلى تفسيره وهو لا يعرف مسارب اللغة التي نزل بها وسُبُلها؛ كان كساعٍ إلى الهيجاء بغير سلاح!! وإنه آنئذٍ - وبلا شكٍّ - سيقع في الزلل، ويتردَّى في مهاوي الضلال، وسيُحرِّف الكلم عن مواضعه!!

لقد بلغ من أهمية هذه اللغة ومكانتها في التشريع أنها غدت القاعدة المتينة التي تقوم عليها الأحكام؛ فما من علمٍ من العلوم الإسلامية: فقهها وكلامها، وعلمَيْ تفسيرها وأخبارها إلا و فتقاره

إلى العربية وتعويله عليها بيِّنٌ لا يُدفع، ومكشوف لا يتقنَّع؛ وذلك أنَّ معاني هذه العلوم لا تُعرف على الحقيقة إلا بمعرفة ألفاظها.. والوصلة إلى معرفة ألفاظها - في أحيان كثيرة، إنْ لم تكنْ أكثرها - معرفة اللغة العربية..

وسنتعرَّف في هذا البحث بإذن الله عزَّ وجلَّ على ثلاث الصور المُفضية لفهم النصِّ القرآني الحكيم من خلال تدبُّر دلالات طائفة من ألفاظه المباركة بأبعادها الثلاثة المراد تسليط الضوء عليها في هذا البحث: اللغوية، والشرعية، والمتأرجحة بين هذه الدلالة وتلك.. وسط جوٍّ من النقاش العلميِّ الهادئ والهادف، ونضرب أمثلة وافية عن كلٍّ منها.. مع بيان أهمية كلٍّ من المعنى اللغويِّ والمعنى الشرعيِّ في فهم الرسالة الإبلاغية التي سيق النصُّ قصد أدائها؛ فأقول وبالله التوفيق:

المبحث الأول
مكانة اللغة العربية وأثرها في فقه معاني القرآن

ليس بخافٍ على أحدٍ منَّا ما للُّغة العربية من أثر بالغ في فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم وتحديد مراميه، وفقه دلالاته؛ فمن المعلوم أنَّ القرآن عربيٌّ، وقد أُنزل على رسول عربيٍّ، وخوطبتْ به - في بادئ الأمر - أمة العرب، وأنَّ مقصوده الهداية والنصح والإرشاد؛ لذا كان لا بدَّ أن يأتي بيِّناً واضحاً بالنسبة للأمة المخاطبة به، ولا يكون كذلك حتى تفهمه وتعقله، ولا يتمُّ ذلك حتى يكون جارياً على معهودها في الخطاب، وعاداتها في الكلام.. وهكذا كان القرآن الكريم(١)..

لقد نصَّت العديد من الآيات الكريمة على عربية هذا الكتاب الكريم(٢)، ولمَّا كان الأمر كذلك؛ فإنه لا يمكن العدول بحال عن هذه اللغة التي نزل بها إلى غيرها إذا أُريد تفسير الكتاب المبين؛ لأنَّ

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٥/ ٣٠٠)، ومصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد/ ص١٧.

(٢) أثبت الله عزَّ وجلَّ العربية للغة القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً من كتابه العزيز؛ هي: [سُورَةُ يُوسُفَ] الآية ٢، و[سُورَةُ الرَّعْدِ] الآية ٣٧، و[سُورَةُ النَّحْلِ] الآية ١٠٣، و[سُورَةُ طٰهٰ] الآية ١٣، و[سُورَةُ الشُّعَرَاءِ] الآية ١٩٥، و[سُورَةُ الزُّمَرِ] الآية ٢٨، و[سُورَةُ فُصِّلَتْ] الآيتان ٣، و٤٤، و[سُورَةُ الشُّورَىٰ] الآية ٧، و[سُورَةُ الزُّخْرُفِ] الآية ٣، و[سُورَةُ الأَحْقَافِ] الآية ١٢.. ونفى عنها العُجمة في أربعة مواضع؛ وهي: [سُورَةُ النَّحْلِ] الآية ١٠٣، و[سُورَةُ الشُّعَرَاءِ] الآية ١٩٨، و[سُورَةُ فُصِّلَتْ] الآيتان ٣، و٤٤ [ينظر: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية/ ص١٢٣- ١٢٤، واللغة العربية - التحديات والمواجهة/ ص٨، واللسان العربي المبين/ ص٢٣- ٢٤].

معرفة معاني ألفاظه لا تؤخذ إلا منها.. فإنَّ من سُنَّة الله عزَّ وجلَّ أنْ يُرسل الرسول بلسان قومه، ويُنزِّل عليهم الكتاب بلسانهم؛ ليُبيِّن لهم ويفهموا عن الله جلَّ جلاله خطابه ومراده على ألسنة رسله؛ فيؤمنوا به ويصدِّقوه.. ولو كان بغير لغتهم؛ لاحتاجوا إلى تَرْجُمان يُبيِّن لهم حدود ربِّهم عزَّ وجلَّ وأوامره ونواهيه[١].. وبناءً على ما تقدَّم؛ فإنَّ القرآن الكريم مفهوم المعنى كلَّه؛ فليس فيه ألغاز، ولا أحاجي، ولا أسرار كامنة تستفاد من مصادر خارجة عن قوانين اللغة العربية وعُرْف ستعمال اللسان العربي.. وكلُّ تفسير لكلام الله سبحانه وتعالى خارج عن قانون لغة العرب؛ فهو تفسير بالهوى والتشهِّي، مردود على صاحبه[٢]..

وعليه؛ فإنَّ مَنْ يريد فهم القرآن الكريم؛ فلا يسعه إلا أنْ يكون على معرفة ودراية باللغة العربية: بدلالات ألفاظها، وتنوُّع تراكيبها، و ختلاف أساليبها، ووجوه المخاطبات فيها.. وما يتَّصل بها من علوم؛ إذ من خلالها يستشفُّ المعاني، ويستجلي المرامي، ويستقي الدلالات، ويستوضح العبارات[٣]، ((كما كانتْ سُنَّة الله عزَّ وجلَّ في خلقه أنْ يرسل كلَّ رسول بلسان قومه؛ حتَّى يحصل المقصود من الرسالة؛ فيكون الرسول مُبيناً في كلامه وبلاغه، ويكون المخاطب قادراً على الفهم، متمكِّناً من الإدراك؛ وبهذا تقوم الحجة، وتنقطع المعذرة بالبيان من الرسول، والفهم من المرسل إليه..

... فمعاني كتاب الله عزَّ وجلَّ موافقة لمعاني كلام العرب، كما إنَّ ألفاظه موافقة لألفاظها؛ ولهذا لا يمكن لأحد أنْ يفهم كلام الله سبحانه وتعالى، وكلام رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم إلا من هذه

(١) ينظر: التفسير اللغوي/ ص٥، و٤٠، والقواعد النحوية والقراءات/ ص١٧.
(٢) ينظر: مباحث في علم التفسير/ ص١٥٤- ١٥٧، والتأويل الباطني في القرآن الكريم/ ص١٢، و٤٩٥.
(٣) ينظر: جامع البيان (١/ ١٢)، وأصول التفسير وقواعده/ ص١٣٨، ولغة القرآن/ ص٤٤٦.

الجهة: جهة كونه عربياً في ألفاظه وتراكيب تلك الألفاظ، عربياً في أساليبه ومعانيه.. فلا بدَّ في فهم معاني نصوص الكتاب والسُّنَّة من مراعاة معهود العرب في خطابها؛ فلا يصحُّ العدول عن عُرْفها في كلامه، كما لا يصحُّ أن يفهم كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم على نحوٍ لا تعرفه العرب من لغتها وأُسلوبها))[1]..

ولما كان الأمر كذلك؛ كانت لغة العرب من أهمِّ المصادر وأوثقها في معرفة كلام الله جلَّ في علاه، وكان من أهم ما فيها - وهو من بدايات علم التفسير- معرفة دلالات الكلام - أي: معاني الألفاظ - التي يدور عليها كثير من علم التفسير؛ ليعرف المراد بالخطاب.. وهذا مما لا يسع الجهل به لمَنْ أراد التصدر لعلم التفسير وبيان معنى كلام ربنا الحكيم الخبير أو تدبُّره وتفهُّمه؛ إذ بات لزاماً عليه أن يعرف مدلولات الألفاظ، وأن يستشرح معانيها من مصادرها المعتمدة..

وإذا تأمَّلنا تفسير القرآن المجيد □ستقرائياً، وقلَّبنا صفحاته في الآثار المنقولة لنا عن الصحابة والتابعين أو أتباعهم رضي الله عنهم، وفرزنا كلَّ نوع منها على حدة؛ فإننا - ولا بدَّ - سنجد ما كان مرجعه اللغة له الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر واللون الأبهى والأزهى من بين التفاسير العديدة المختلفة وآرائها المتنوعة.. و((لمَّا كانت اللغة هي المادة التي يُستمدُّ منها فهم كتاب الله وتفسير آياته؛ فقد أقبل عليها المفسِّرون، وكانتْ موضعَ □هتمامهم منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم))[2]، ومما يؤكِّد أهميتها، وكونها

(١) قواعد الاستدلال/ ص١٠٧- ١٠٨، وينظر: مباحث في علم التفسير/ ص١٥٤.

(٢) مباحث في علم التفسير/ ص١٧٣.

مصدراً أساسياً في فهم القرآن: عدم جواز فهمه بمعانٍ جديدة لم تكنْ موجودة في عصر التنزيل؛ وإنما حدثتْ بعد ذلك(١)..

ومن هنا كان لزاماً على كل متكلّم في معاني القرآن المجيد ومتصدِّر لطرق بيانها على تعدُّد أنواعها، وتشعُّب ضروبها، و□تساع وجوهها ومجالاتها الجامعة لكافة شؤون الحياة والشاملة لسائر جمل العلم أن يكون أول أمره قائماً على كمال تحقيق الفهم للسان العربية، وأن يتَّقي عظيم ما يتردَّى فيه كثير من المستجرئين ويتعرَّض له جملة من أهل النزق؛ متمثِّلاً بالقول في معاني القرآن الكريم، وهم لا يتمكَّنون من إقامة ألسنتهم على النطق بجملة عربية واحدة تسلم لهم على النحو الصائب والنهج العربي القويم؛ فراحوا في كلِّ وادٍ يهيمون، ويهرفون بما لا يعرفون؛ فضلُّوا، وأضلُّوا كثيراً، وضلُّوا عن سواء السبيل!!

ومن هنا أيضاً وجب على المتأمِّل لكتاب الله جلَّ في علاه أن يبحث في معاني الكلمات الواردة فيه بحثاً علمياً لغوياً؛ من خلال الرجوع إلى أمات المعجمات اللغوية، والتبصُّر في مختلف معاني الكلمة و□ستعمالاتها الحقيقية والمجازية في لغة العرب إبَّان نزول القرآن الكريم.. كما يجب عليه تتبُّع الكلمة القرآنية، أو الأصل اللغوي لها؛ فإن هذا التتبُّع يهدي سبيل المتأمِّل إلى الفهم الصحيح بفضل الله عزَّ وجلَّ؛ فقد تستعمل المادَّة في نصٍّ بمعنىً، وتستعمل في نصٍّ آخر بمعنىً آخر..

إنَّ تحرِّي معنى الكلمة كما هي في كلام العرب، من دون إضافة معانٍ أُخرى لا تدلُّ عليها الكلمة في □ستعمال العرب لها ما لم تكن الدلالة مستفادة من دالٍّ آخر في النصِّ من شأنه أن يساعد - بتوفيق الله عزَّ وجلَّ - على فهم المعنى المراد من النصِّ، وأن يكون تدبُّره أقربَ إلى الصواب، وأكثر تذليلاً لمهمة إدراك ما يشتمل عليه

(١) ينظر: قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ/ ص٣١٩، ولغة القرآن/ ص٤٤٦.

النصُّ من دلالات[١]؛ إذ ((إنَّ اللفظ هو الأداة لإيصال المعنى إلى المخاطب؛ لذلك فإنَّ التقصير في تحديد معنى اللفظ قد يؤدِّي إلى وصول الرسالة - المعنى - إلى المخاطَب بشكل مغلوط))[٢]..

إنَّ الكلمة المفردة لتعدُّ بحقٍّ أساس اللغة وحجر الزاوية في بناء العربية التي نزل بها القرآن الكريم؛ لذا نجد جُلَّ العلماء قد قرَّروا - بعبارة كاشفة صريحة، ومقالة دالَّة فصيحة - أنَّ العناية بها، وبيان أحكامها في اللغة قبل استعمالها في التركيب أمرٌ لا غنى للمفسِّر عنه بأيِّ حال من الأحوال.. كما لا يحتاج - إذا ما أتقن هذا الجانب - إلى المزيد من عناء الإفهام وجهد التعليم.. ومن بين أُولئك العلماء الأفذاذ الذين قرَّروا تلك الحقيقة الجلية والقاعدة السَّنية: أبو القاسم الراغب الأصفهانيُّ رحمه الله؛ إذ يقول: ((إنَّ أوَّل ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية: تحقيق الألفاظ المفردة؛ فتحصيل معاني مفردات القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه؛ كتحصيل اللَّبن في كونه من أول المُعاون في بناء ما يريد أن يبنيه!! وليس نافعاً في علم القرآن فقط؛ بلْ هو نافع في كلِّ علم من علوم الشرع.. فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب، وزبدته، وواسطته، وكرائمه... وما عداها وعدا الألفاظ المتفرِّعات عنها والمشتقَّات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة!!))[٣].. ومنهم: أبو حيان الأندلسي رحمه الله؛ إذ يقول: ((ومَنْ أحاط بمدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك

(١) ينظر: محاسن التأويل (١/ ١٠)، وقواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ/ ص٣١٧- ٣٥٩، و٤٥٣ وما بعدها.
(٢) المعاني السبعة/ ص١.
(٣) المفردات في غريب القرآن (١/ ٤)، وينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ١٦٠).

اللغة، و□رتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه؛ فلنْ يحتاج - في فهم ما تركَّب من تلك الألفاظ - إلى مُفهم ولا مُعلِّم))[١]..

هذا، ((ويُخطئ كثيراً مَنْ يتدبَّر آيات الله جلَّ في علاه من دون أن يرجع في كلِّ كلمة إلى دلالاتها الأصلية في كلام العرب، مُتتبِّعاً في معجمات اللغة، وفي نصوص مَنْ يُستَشْهَد بأقوالهم من العرب.. وبعد البحث؛ يختار من معاني الكلمة المعنى الذي يلائم دلالة النصِّ القرآنيِّ بوجه عامّ.. وحين تدعو الضرورة إلى إخراج الكلمة عن معناها الأصليِّ إلى معان □ستعيرت الكلمة للدلالة عليها؛ فليكنْ ذلك ضمن ضوابط الاستعمالات القرآنية السائرة على وفق المناهج العامة لكلام العرب و□ستعمالاتهم))[٢]..

وبناءً على ما سبق بيانه؛ فإنَّ الجملة العربية بناءٌ كلاميٌّ يعتمد على أركان، لعلَّ من أهمِّها:

❖ **الأول/** مادَّة الكلمة، وما تدلُّ عليه من معنىً بحسب الاستعمال العربي لها؛ إذ إنَّ ((اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وهذا يحتم علينا □لتماس الدلالة اللغوية الأصلية للفظة القرآنية؛ فإنها ترفدنا بحسِّ العربية للمادَّة في مختلف □ستعمالاتها الحسية والمجازية))[٣]، ومرجع هذا معجمات اللغة، و□ستعمالات العرب في شعرهم ونثرهم.. ومثال ذلك ما جاء في كتاب «قواعد التدبُّر الأمثل - القاعدة التاسعة عشرة : حول تردُّد النصِّ القرآنيِّ بين دلالتين أو أكثر»، وفيما يلي نصُّه: ((بحثنا عن المعنى الأصلي اللغوي لـ«المكر»؛ فوجدنا أنه تدبير أمرٍ في خفاء، ومعلوم بداهة أنَّ ما يُدبَّر في الخفاء لا يلزم أن يكون شراً؛ بلْ قد يكون خيراً.. ثمَّ □كتسب المكر في تصوُّرات

(١) البحر المحيط (١/ ١٠٤)، وينظر: مباحث في علم التفسير/ ص١٥٥-١٥٦، والتفسير اللغوي/ ص٦٤١.
(٢) قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ/ ص٣١٧.
(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ٧).

العامة، أو في العُرْف العام بعد ذلك صورة قبيحة مستهجنة، تخصيصاً منهم للمكر في تدبير ما هو شرّ..

وسيطر هذا المعنى الجديد على أفكار بعض المفسِّرين؛ فوجدوا إشكالاً في نسبة المكر إلى الله جلَّ شأنه؛ فلجأوا إلى تأويل ذلك بأنه من باب المشاكلة.. ولو أنهم أبعدوا عن تصوُّراتهم هذا المفهوم المستحدث، ورجعوا إلى أصل المعنى اللغوي؛ لظهر لهم أنَّ «المكر» الذي هو تدبير أمر في خفاء قد يكون مكراً في الخير، وقد يكون مكراً في الشرِّ، وجانبُ الخير منه لا ينافي الكمال؛ بلْ هو من عناصره.. إنَّ الحاكم العادل يمكر، ومكرُه لا يكون إلا في الخير، إنه يمكر بالمجرمين حتى تقبض عليهم يدُ العدالة.. والمسلم الملتزم بإسلامه يمكر، ومكرُه يكون في الخير وفي مرضاة الله جلَّ جلاله.. والله عزَّ وجلَّ يمكر، وهو خير الماكرين؛ ولذلك ذمَّ الله جلَّ في علاه في القرآن الكريم المكرَ السيِّئ، ولم يذمَّ مطلق المكر؛ فقال جلَّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ... ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ ﴿٤٣﴾﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ]..

ولما كان الأمر كذلك؛ فقد وجب المصير إلى المعنى الأصلي اللغوي حتماً، ولا حاجة بنا إلى إخراج اللفظ عن أصل دلالته اللغوية.. يضاف إلى ذلك أن هذا الإخراج يوقعنا في الإشكال، ويجعلنا في حاجة إلى التأويل.. إنه لغط لا داعي له!!))[1]..

وأضاف الميداني: ((جاء في معنى «الكيد» لغة ما يلي: الكيد: الاحتيال والاجتهاد، والكيد: التدبير بباطل أو حقٍّ، والكيد: الحرب، وتأتي «كاد» بمعنى: طلب وأراد.. وغير ذلك من معانٍ.. ونستطيع أن نقول: إنَّ هذه المعاني تدور حول □تخاذ أعمال وتدبيرات توقع الآخرين بما يكرهون، وبأدنى تأمُّل يتَّضح لنا أنَّ

(١) قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ/ ص٤٥٥.

تخاذ مثل هذه الأعمال قد يكون في الخير، وقد يكون في الشرِّ، وجانب الخير منه لا يكون منافياً للكمال؛ بلْ هو من عناصره!! فإذا شاع في تصوُّرات العامة، أو في العُرْف العام، أو كان أحد المعاني اللغوية تخصيص الكيد في الصورة القبيحة المستهجنة التي لا تليق بكمال صفات الله سبحانه وتعالى؛ فلا يصحُّ أن يسيطر هذا المعنى على متدبَّر ما نُسب إلى الله جلَّ شأنه من الكيد حتى يلجأ إلى التأويل بالمشاكلة أو غير ذلك ما دام باستطاعته أن يجد في المعاني اللغوية الأصول ما لا يتنافى مع كمال صفات الله جلَّ جلاله؛ بلْ هو ينطبق على ما نعلم بالنصوص القطعية الأخرى، وبالبراهين العقلية من صفات الله جلَّ في علاه..

وبناءً على هذا نقول: إنَّ الكافرين يكيدون في الشرِّ؛ لأنهم يعملون بمكايدهم لإدحاض الحقِّ وإقامة الباطل في الأرض.. أما الله جلَّ شأنه؛ فإنه يكيد في الخير؛ لأنه لا يُصلح عمل المفسدين؛ بلْ يردُّ كيد الكافرين إلى نحورهم، وينصر أولياءه المؤمنين على أعدائه، ويؤيد أنصار الحق، ويأبى إلا أن يُتمَّ نوره ولو كره الكافرون والمشركون.. وينتهي الأمر بذلك من دون إشكال ولا تأويل، وتستقيم عملية التدبُّر لكلام الله عزَّ وجلَّ))[1]..

❖ **الثاني/** صيغة الكلمة وما تدلُّ عليه من دلالات خاصة زائدة على المعنى العام الذي تدلُّ عليه مادَّة الكلمة.. والدلالات الخاصة التي تدلُّ عليها صيغ الكلام العربي قد ستفيدتْ من الاستعمال العربي الغالب الذي دلَّ عليه الإحصاء.. والمرجع لمعرفة دلالات الصيغ علم الصرف، وبعض قواعد علم النحو؛ فلكي نلمح الدلالة القرآنية على الوجه الأمثل؛ لا بدَّ من لمحها بجمع كلِّ ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبُّر سياقاتها الخاصة في الآية والسورة، وسياقاتها العامة في القرآن كلِّه..

إنَّ كثيراً من المفردات اللغوية في اللغة العربية يحمل عدَّة دلالات حقيقية ومجازية؛ لذا كان لزاماً على المتأمِّل لأيِّ نصٍّ

(١) قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ/ ص٤٥٦.

قرآنيٍّ أن يبحث في معاني المفردات الواردة فيه بحثاً علمياً لغوياً، ويتحقّق ذلك من خلال الرجوع إلى طائفة من أمات المعجمات اللغوية، ووجب عليه النظر في مختلف المواطن التي ستُعملت فيها الكلمة في القرآن الكريم؛ فمن شأن هذا النظر أن يكشف للمتدبِّر الفطن الدلالات الأساسية للكلمة في الاستعمال القرآني: أتدور دلالتها حول المعنى اللغوي، أم حول المعنى في الاصطلاح الشرعي القرآني؟!! ومع الحقيقة، أم مع المجاز، أم متنوِّعة؟!! إذ قد يهدي السبر للكلمات القرآنية في مختلف مواطن ستعمال الكلمة إلى ستخراج دلالات خاصة بالقرآن الكريم من عموم المعنى اللغوي، وتكون تلك الدلالات الخاصة بدورها نبراساً للمُتدبِّر يُضيء له طريق فهم النصِّ.. مثل كلمات: «الهدى»، و«الضلال»، و«الرجس»، و«التقوى»، و«البر»، و«الإحسان»، و«الفقير»، و«المسكين»، و«الكفر»، و«الفسوق»، و«العصيان»، و«النفاق»، و«الصلاة»، و«الزكاة»، و«الحج»، و«الصوم»، و«التوبة»، و«الإنابة»، و«الإخلاص»، و«الوضوء»، و«الغسل»، و«الجنابة»، و«الحيض»... إلى غير ذلك من الكلمات(١)..

وبعبارة أُخرى: فإنَّ النظر في مختلف المواطن التي ستُعملتْ فيها الكلمة في القرآن الكريم أمر يقتضيه البحث العلميُّ السديد، ولا مندوحة للباحث عنه؛ إذ إنَّ من شأن تتبُّع ستعمالات الكلمة في القرآن الكريم أن يكشف للمتدبِّر الحصيف الدلالات الأساسية للكلمة في الاستعمال القرآني.. فقد يتوصل الباحث إلى أنَّ المعنى الاصطلاحيَّ في الشرع هو المعنى الأساسيُّ الذي تدور حوله الاستعمالات القرآنية كلُّها، أو معظمها.. أو قد يتوصَّل إلى أنَّ المعنى اللغويَّ - أو بعض المعاني اللغوية - هو الأساس الذي تقوم عليه سائر المعاني الأخرى.. وكلُّ ذلك من شأنه أن يُسديَ خدمة،

(١) ينظر: قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ/ ص٣١٩، وشذرات الذهب/ ص٢٥.

وأن يقدِّم نفعاً للمتدبِّر قد يهديه إلى فهم المعنى المراد بتوفيق الله سبحانه وتعالى..

ولا يكفي النظر الجزئيُّ لمعنى الكلمة عند تدبُّر آية من الآيات الكريمة.. فكمْ من الأخطاء في الفهم قد رتكبتْ من قبل بعض المتدبرين بسبب النظر الجزئيِّ الموضعيّ!! إنَّ معرفة وجوه دلالات الكلمة في الاستعمال القرآنيِّ ذو نفع عظيم، وهي واحد من أهمِّ العناصر الأساسية لتدبُّر كتاب الله جلَّ في علاه؛ فمن دون معاني الكلمات القرآنية الواردة في النصِّ الكريم الذي يُراد تدبُّره وفهم دلالته يتعذَّر الوصول إلى فهم صحيح متعمِّق لكامل النصّ!! ويبدو لنا ولأيِّ متدبِّر سالك للطريق الصحيحة جلياً أنَّ فهم المراد من أيِّ نصٍّ كلاميٍّ يتوقَّف على معرفة دلالات الكلمات والمفردات الواردة فيه بأبعادها المختلفة؛ لذلك وغيره يجدر بأيِّ دارس لأيِّ نصٍّ عربي - ولا سيَّما كتاب الله عزَّ وجلَّ - أن يكون خبيراً بدلالات الصيغ المختلفة لمادَّة الكلمة العربية؛ لأنَّ الفهم الصحيح للنصِّ مرتبط بمعرفة ذلك[1]؛ ((فالكلمة التي يرجع بها إلى معناها اللغويِّ إنما يطلب مدلولها كما كان يتحدَّد داخل المنظومة اللغوية التي تنتمي اليها.. وبالتالي؛ فلا بدَّ أن تحمل في معناها اللغويِّ قليلاً أو كثيراً من خصائص رؤية أهلها للعالم، وكيفية مفصلتهم له، وطريقة تفكيرهم في ظواهره))[2]..

ثمَّ ((إنَّ القارئ أو الدارس للنصِّ الشرعيِّ لا بدَّ له بعد أن يدرك المعنى اللغويَّ للكلمات الواردة في النصِّ على أساس ما كان مستعملاً لدى العرب أثناء نزول الوحي - من حيث نزل بلسان عربيٍّ مبين - وبعد أن يدرك الصيغة التي وردتْ عليها تلك الكلمات؛ لا بدَّ له أن يعرف موقع كلِّ كلمة في هذا النصِّ؛ من حيث الإسناد والعلاقات التركيبية في الجملة المفيدة؛ كي لا يُنسَبَ حدثٌ

(١) ينظر: المرجع نفسه/ ص٣١٨- ٣٢١، و٤٦٢، و٥٥١.
(٢) بنية العقل العربي/ ص١٥، وينظر: التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية/ ص١٣١.

إلى مَنْ لم يقمْ به؛ فيختلف المعنى المراد للشرع، وينحرف عن مساره، وإنَّ الذي يتكفَّل بهذه المعرفة هو علم النحو الذي يُحدِّد الموقع الإعرابي لكلِّ كلمة من خلال قواعده و□حتمالاته))[1]..

ومن هنا؛ فإنَّ ((النظر في الكلمة القرآنية لنْ يكون في حقيقته - كما هو ظاهرُه - نظراً في مفردة؛ بلْ هو نظر في كلمة نورانية ربانية قامتْ في بناء جملة، قامتْ في بناء آية، قامتْ في بناء معقد، قام في بناء سورة، قامتْ في بناء القرآن الكريم كلّه، وكلُّ بناء من هذه الأبنية المتصاعدة يأخذ من سابقه ويعود عليه بفيض من عطائه، وهذا يجعل الناظر في المفردة القرآنية حالاً مرتحلاً، لا يحلُّ في دائرة من دوائر السياق إلا ليرتحل منها إلى أُخرى يجمع منها فيضاً من العطاء!! الأمر كما ترى جدُّ جليل، لا يتهاون بحقه إلا غافل عن منزلته العلية))[2]..

المبحث الثاني
بين المعاني اللغوية الأصيلة والمعاني الشرعية الجديدة

هذا، وقد كان للقرآن الكريم أثر كبير في الجود بمعانٍ جديدة لكثير من الألفاظ والمفردات التي أُطلق عليها فيما بعد: «الألفاظ الإسلامية».. وهذا لا يعني أنها وُضعتْ وضعاً جديداً؛ وإنما كانتْ على طريقة ما ألفه العرب، ووسعته لغتهم مجازاً ونقلاً و□شتقاقاً.. فـ«الألفاظ الإسلامية» كانتْ معروفة عند أهل اللغة بمعناها اللغويِّ قبل أن يتوسع القرآن الكريم في دلالاتها على المعاني الأخرى،

(١) أثر الدرس اللغوي في فهم النصِّ الشرعي/ ص٢٥.
(٢) شذرات الذهب - دراسة في البلاغة القرآنية/ ص٣٢- ٣٣، وينظر: الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن/ ص١٤٣- ١٥٠، و١٥٦- ١٥٧.

وهذه المعاني لا تبتعد عن ذلك الأصل، ولا تنقطع عنه؛ بل هي جزء منه ووجه له، وقد ورد أغلبها في القرآن الكريم بمعناها الأصليِّ في آيات، وبمعانيها المجازية في آيات أُخرى.. وبذلك أصبحتْ مادَّة لكتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.. ومن هذه الألفاظ: «الاستغفار»، و«الإسلام»، و«الايمان»، و«الباطل»، و«التقوى»، و«الجهاد»، و«الحق»، و«الرحمة»، و«الركوع»، و«الصوم»، و«الصلاة»، و«الطهارة»، و«العرش»، و«القنوت»... الخ[1]..

وقد تنبه □بن فارس في كتابه «الصاحبي» لهذا الأمر بقوله: ((كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم.. فلمَّا جاء الله سبحانه وتعالى بالإسلام؛ حالتْ أحوالٌ، ونُسختْ ديانات، وأُبطلتْ أمور، ونُقلتْ من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أُخر، بزياداتٍ زيدتْ، وشرائع شُرِّعتْ، وشرائط شرطتْ، فعفَّى الآخرُ الأوَّل.. فكان ممَّا جاء في الإسلام ذكر «المؤمن»، و«المسلم»، و«الكافر»، و«المنافق»...

إنَّ العرب إنما عرفت المؤمنَ من «الأمان والإيمان»؛ وهو التصديق.. ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سُمِّي المؤمن بالإطلاق مؤمناً.. وكذلك «الإسلام والمسلم» إنما عرفتْ منه إسلام الشيء.. ثمَّ جاء في الشرع من أوصافه ما جاء.. وكذلك كانتْ لا تعرف من «الكفر» إلا الغطاء والستر.. فأما «المنافق»؛ فاسمٌ جاء به الإسلام لقومٍ أبطنوا غير ما أظهروه ، وكان الأصل من نافقاء اليربوع))[2].. كما قيل: لتسمية المنافق منافقاً ثلاثة أوجه:

---

(١) ينظر: المعجمية العربية/ ص٢٦٥- ٢٦٦ [من بحث: معجمات دلالية لألفاظ القرآن الكريم، للدكتور حاتم صالح الضامن]، وتاريخ آداب العرب (١/ ٧٢)، والتطور اللغوي التاريخي/ ص٤٣.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها/ ص٤٥، وينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٢٩٤- ٢٩٦)، والتطوُّر الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم/ ص٢٢.

❖ **أحدها:** أنـه يُسرُّ كفره ويخفيه؛ فشُبِّه بالذي يدخل النفق؛ وهو السرب يستتر فيه!! قال الشاعر:

للمـــؤمنين أمـــور غيـــر محزنة وللمنـــافق ســـرٌّ دونـــه نفق

أي: سرٌّ يخرج منه إلى غير الإسلام!!

❖ **والثاني:** أنه نافق كاليربوع؛ وذلك أنَّ اليربوع له جُحْران: أحدهما يقال له النافقاء، والآخر القاصعاء، فإذا طُلب من النافقاء؛ خرج من القاصعاء، وبالعكس!! قال الشاعر:

إذا الشيطان قصَّع في قفاها تنفقنـاه بالحبـل الثُّـؤام

فيقال: هكذا يفعل المنافق؛ يدخل في الإسلام، ثمَّ يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه، والنافقاء إحدى جُحَر اليربوع، يكتمها ويظهر غيرها!!

❖ **والثالث:** أنـه شُبِّه به؛ لمخادعته؛ وذلك أنَّ اليربوع يحتفر الأرض من تحتها حتى يُرقِّقها جداً، فإذا طُلب من باب جُحْره؛ عَمَد إلى ذلك الموضع الذي رقَّق ترابه بحفره ودفعه برأسه خارجاً مارقاً!! فظاهر جُحْره أرضٌ، وباطنه حفر!! فكذلك المنافق: ظاهره مؤمن، وباطنه كافر(١)!! قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله: ((وإنَّما سمَّى الله ﷻ الكافر في باطنه المُورِّي بالإيمان، والمستتر بخلاف ما يُسرُّ بـ«**المنافق**» على النافقاء والقاصعاء، وعلى تدبير اليربوع في التورية بشيءٍ عن شيء... وهذا الاسم لم يكنْ في الجاهلية لمَنْ عمل بهذا العمل؛ ولكنَّ الله ﷻ شتقَّ لهم هذا الاسم من هذا الأصل

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٢٣٨/٣- ٢٣٩)، والمفردات في غريب القرآن (٥٠٢/١)، ولسان العرب (٣٥٧/١٠- ٣٥٩)، وعمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢٠٧/٤- ٢٠٨).

))[1]، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٤٥﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]..

و((«الفاسق» معناه في كلام العرب: الخارج عن الإيمان إلى الكفر، وعن الطاعة إلى المعصية؛ أُخذ من قولهم: «قد فسقت الرُّطبة»؛ إذا خرجتْ من قشرها))[2].. تقول العرب حين يرون نضج البلح على الشجر، يحثُّون صاحبه على جنيه قبل أن يفسد: فسقت الرُّطبة عن قشرها!! ويقولون: فسقت الفأرة عن جحرها؛ لأنَّ الرُّطبة إذا نخرمتْ قشرتُها؛ تعرَّضت للميكروبات؛ ففسدتْ، والفأرة إذا خرجتْ من جُحْرها؛ تعرَّضتْ لأعدائها فأكلتْها أو أهلكتْها.. ومنه: الفاسق في الشرع؛ فإنه إذا خرج عن طاعة مولاه؛ تعرَّض لسخطه[3]!! وكذلك فإنهم لم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: فسقت الرُّطبة؛ إذا خرجتْ من قشرها.. وجاء الشرع بأنَّ الفسق: الإفحاش في الخروج عن طاعة الله عزَّ وجلَّ[4]، قال جلَّ جلاله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴿٥٠﴾﴾ [سُورَةُ الْكَهْفِ]..

((وممَّا جاء في الشرع: «الصلاة»، وأصلُه في لغتهم: الدُّعاء، وقد كانوا يعرفون الرُّكوع والسُّجود، وإنْ لم يكنْ على هذه الهيئة... وكذلك «الصيام»؛ أصلُه عندهم: الإمساك.. ثم زادت الشريعة النية، وحظرت الأكل والمباشرة وغيرهما من شرائط الصوم.. وكذلك «الحجّ»؛ لم يكنْ فيه عندهم غير القصد.. ثمَّ زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحجِّ وشعائره.. وكذلك «الزكاة»؛ لم

(١) الحيوان (٥/٢٧٩- ٢٨٠).
(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/١١٠).
(٣) ينظر: أثر الدرس اللغوي في فهم النصِّ الشرعي/ ص١٦.
(٤) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها/ ص٤٥.

تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النَّماء، وزاد الشرع منها ما زاده... فالوجه في هذا إذا سُئل الإنسان عنه أن يقول: فيه □سمان، لغويٌّ، وشرعيٌّ.. ويذكر ما كانت العرب تعرفه، ثمَّ جاء الإسلامُ به))[1]..

وقد تطرَّق الأستاذ علي حسب الله - في كتابه «أُصول التشريع الاسلامي» تحت عنوان: «القواعد اللغوية»- إلى كون معاني الألفاظ على العموم لا بدَّ لها من معنيين: لغويٍّ، وشرعيٍّ.. إذ قال: ((إنَّ الأسماء اللغوية تنقسم إلى قسمين: وضعية، وعُرْفية))[2]، ومضى يحدُّ كُلاً من ذينك القسمين بالتعريف اللائق به.. حتى بلغ الأسماء الشرعية قائلاً فيها: ((وقد وجدْنا الشارعَ يستعمل ألفاظاً عربية في معانٍ لم يعرفْها العرب من قبل.. فهل وضعها الشارع لهذه المعاني وضعاً مبتدأ لا علاقة له بمعانيها الأولى، كما يضع المحترفون الأسماء لأدواتهم.. أم هي لا تزال مستعملة في معانيها الأولى من غير نقل.. أم نقلها بطريق التجوُّز إلى معانٍ تتَّصل بمعانيها الأولى، وذاعت المعاني الجديدة حتى أصبحتْ حقائق شرعية، عُرْفية فيها؟!!))[3]..

فممَّا لا يسع أحداً من الباحثين والمتخصِّصين في مجال الدراسات اللغوية والقرآنية جهلُه هو ما حدث في العصر الإسلامي من ((تغيُّر كبير في مدلول كثير من الألفاظ والمصطلحات الدينية، والشرعية، والفقهية، واللغوية.. وكانتْ ألفاظها موجودة قبل الإسلام؛ ولكنَّها كانت تدلُّ على معانٍ أُخرى؛ فتحوَّلت الدلالة على ما يُقاربها من المعاني الجديدة.. فلفظ «المؤمن» كان معروفاً في الجاهلية؛ ولكن كان يدلُّ عندهم على الأمان، أو الإيمان؛ وهو التصديق؛ فأصبح في الإسلام يدلُّ على المؤمن؛ وهو غير الكافر،

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها/ ص٤٥، وينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٢٩٤- ٢٩٦)، والتطوُّر الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم/ ص٢٢.
(٢) ص٢٤٣.
(٣) أصول التشريع الإسلامي/ ص٢٤٤.

وقسْ على ذلك جميع المصطلحات الفقهية التي ظهرتْ في صدر الإسلام))[1]..

لقد جاء البيانُ القرآنيُّ الفريد بكلماته الإفرادية من معدن ما كان في لسان العرب إبَّان نزول الوحي: صورة ومدلولاً ودلالة، ولم يُسقطْ عليهم مفرداتٍ لم تكنْ قد طرقتْ آذانهم من قبل، ولم تكنْ ألسنتُهم قد نطقتْها و□عتادتْها ومرنتْ عليها؛ وإلا لقالوا: ما هذا بلساننا، فأنى لنا أن نفهم عنه؟!! وما جاء به القرآن الكريم من مدلولات إسلامية لبعض مفرداته؛ كالصلاة، والزكاة، والحج، والرُّكوع، والشريعة، وغيرها؛ فإنما نسلها من المدلولات التي كانتْ ساكنة ألسنتهم في أشعارهم وخطبهم وخطاباتهم[2]..

وهذا يقتضي كلَّ قائم في النظر في بيان القرآن الكريم أن يقوم أولاً بالنظر في مفردات الآيات؛ فينظر في صورها ومدلولاتها في لسان العربية، وطريق دلالتها على تلك المدلولات؛ ليتَّخذ من ذلك زاداً كريماً في سفره المديد في طريق البيان القرآني العلي المعجز[3]، فإذا ما □ستثنينا بعض الألفاظ اليسيرة التي لم تكنْ معروفة لدى العرب إبان نزول القرآن الكريم؛ فما من تعبير فيه إلا وله أصل سابق من كلام العرب أو بيئتهم وأنماط عيشهم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ]..

ومن جملة الأمور المهمة الأخرى التي يجبُ على المتأمِّل لكتاب الله جلَّ في علاه مُراعاتُها: □عتماد دلالات الكلمات القرآنية

(١) علم اللغة، للدكتور حاتم صالح الضامن/ ص٩٤.
(٢) ينظر: المنهج القرآني وصياغة المصطلحات/ ص٥٤- ٥٦، و٧٢- ٨٤.
(٣) ينظر: شذرات الذهب - دراسة في البلاغة القرآنية/ ص٢٧.

إبان نزول القرآن الكريم، لا على وفق ما تطوَّرتْ إليه الكلمة بعد ذلك في العصور الإسلامية، ولا على وفق المصطلحات التي تمَّتْ بعد عصر التنزيل؛ كمصطلحات المناطقة والفلاسفة والفقهاء وعلماء المناظرة والكلام!! وكمْ يقع بعض المتدبِّرين في الخطأ؛ لغفلتهم عن هذا الأمر الجلل، والجانب الأساسيِّ الخطير.. وفي هذا السياق ((يروي أحدُ الأدباء أنَّ □بنه الصبيَّ كان يسمع فقيهاً يقرأ من سورة يوسف: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴿١٩﴾﴾)؛ فدهش الصبيُّ، وسأل والده: وهلْ كانتْ هناك سياراتٌ في ذلك الحين يا أبي؟!!))[1]..

لذا؛ فقد أكد الأستاذ الميداني في «قواعده» على وجوب توخِّي الحيطة التامة والحذر البالغ من أن يتأثر المتدبِّر لكلام الله جلَّ شأنه بمعنىً □صطلاحيٍّ متأخِّر عن عصر التنزيل، □صطلح عليه الفقهاء، أو تواضع على □ستعماله الأُصوليون، أو غيرهم من العلماء في مختلف العلوم الإسلامية.. أو أن يتأثر بمعنىً شاع في العُرْف العامِّ بعد عصر التنزيل؛ فيفهم معنى الكلمة القرآنية على هذا الأساس؛ لأنه سيعدُّ حينئذ أساساً مخطوءاً وغيرَ صالح للفهم والتدبُّر!! وشدَّد اللهجة مؤكِّداً على أنَّ من يتأثر بمثل هذا سيُخرج الكلمة القرآنية - لا محالة - عن دلالتها الأصلية التي وُضعتْ لها وأُريد لها تأديتها، وسينحرف بها ويشطُّ عن مقصود التنزيل الحكيم؛ وبالنتيجة سينجم عن ذلك كلِّه الانحراف في الفهم عن المعنى المراد[2]..

كما أكَّد على ضرورة إلمام الباحث المتدبِّر في المعنى المراد من الكلمة في النصِّ القرآنيِّ الحكيم بالمفاهيم الإسلامية المتعلقة بالموضوع الذي يشتمل عليه النصُّ، وأن يكون جامعاً لمفاهيم

(١) التفسير اللغوي/ ص٦٧٧، وينظر: أثر الدرس اللغوي في فهم النصِّ الشرعي/ ص٢٥.
(٢) ينظر: قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ/ ص٣١٩.

الشريعة الإسلامية بوجه عامٍّ؛ ليكون عندئذٍ بمأمن من أن يتبادر إلى ذهنه، أو أن يبدو على حكمه مفهومٌ خطأ وهو يحسب أنه يُحسن فهماً و□ستنباطاً.. فلربما □لتزم دارسُ النصِّ القرآنيِّ ومتدبِّره مفهوماً خطأً أخذه من دلالته الظاهرة، أو من بعض معاني كلماته.. ولو أنه رجع إلى مفاهيم الشريعة الإسلامية بوجه عام؛ لتبيَّن له - بما لا ينتابه شكٌّ أو يعتريه لبسٌ أو غموض- فسادُ ما ذهب إليه وآمن به من تفسير المعنى المراد من كلمات النصِّ الذي يتدبَّره، ولكان له رأيٌ آخر ربما يكون مُخالفاً أو مناقضاً لرأيه الأول[1]!!

ثمَّ يأتي بعد ذلك التبصُّر الدقيق بمعنى النصِّ القرآنيِّ بشكل عامّ.. مع ملاحظة سياقه في السورة، وما تجتمع عليه دلالات آياتها ضمن وحدة موضوعها؛ ليأتي بعد كلِّ ما سبق □تجاه المتدبِّر الكُفْء لاختيار المعنى المراد من الكلمة بحسب موضعها الملائم لموضوع النصّ، فـ((إذا تردَّد النصُّ القرآنيُّ بين دلالتين أو أكثر؛ كدلالةٍ أصلية لغوية، ودلالةٍ عربية شائعة في العُرْف العامِّ، أو دلالةٍ عُرْفية شائعة في الاستعمالات القرآنية وبيانات الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، أو دلالةٍ هي من قبيل التوسُّع في المفهوم؛ كالانتقال من الحسِّيَّات إلى المعنويات أو المجرَّدات، ومن المعاني الحادثة إلى المعاني الأزلية، أو دلالةٍ مجازية ممَّا □ستعمله العرب.. فالدلالة التي ينبغي المصيرُ إليها و□عتمادها في فهم معنى النصِّ هي التي تُطابق الواقع، أو تؤيِّدها البراهين العقلية، أو التي لا إشكال فيها؛ فلا تحتاج إلى تأويل بخلاف غيرها، أو التي تنسجم مع سوابق النصِّ ولواحقه، أو التي تتَّفق مع المفاهيم القرآنية والأُصول الإسلامية الثابتة بيقين..

أما إذا تكافأت الدلالات؛ فالدلالة الأصلية اللغوية هي المرجَّحة، وتبقى الدلالاتُ الأُخرى □حتمالاتٍ مرجوحةً حتَّى يأتي

(١) ينظر: الإتقان «النوع الأربعون - في معرفة الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر» (١/ ٤٢٥- ٥٢٨)، وقواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ/ ص٣٢٤.

من الأدلة ما يرفع قيمتها إلى التساوي أو الرُّجحان، أو الاعتماد بصفة جازمة.. وعند الحاجة إلى إخراج اللفظ عن أصل دلالته؛ يُصار إلى أقرب المعاني اللصيقة بالمعنى الأصليّ.. وإذا أمكن أن يكون هذا المعنى ممَّا عمَّتْ به الدلالة حتى غدا حقيقة في العُرْف؛ فهو الأولى والأحقُّ بالفهم))[1]..

يُفهم ممَّا تقدَّم عرضه وبيانه أنَّ معرفة أحكام اللغة العربية على المستويين اللفظيِّ الإفراديِّ، والتركيبيِّ الجُمليِّ شرط في فهم القرآن الكريم، ومعرفة دلالات ألفاظه وتراكيبه؛ لأنَّ من رام تدبُّره أو تطلَّع إلى تفسيره وهو لا يعرف مسارب اللغة التي نزل بها وسُبُلها؛ كان كساعٍ إلى الهيجاء بغير سلاح!! وإنه آنئذٍ - وبلا شكٍّ - سيقع في الزلل، ويتردَّى في مهاوي الضلال، وسيُحرِّف الكلم عن مواضعه؛ كما حصل مع بعض المبتدعة الذين حمَّلوا القرآن المجيد مصطلحات أو مدلولات غير عربية ولا مرادة من النصوص الحكيمة!!

ومع ما سبق ذكرُه من أقوال العلماء في أهمية معرفة أحكام اللغة في إحكام تفسير القرآن المجيد؛ لا بدَّ لنا من معرفة أن اللغة بمجرَّدها لا تستقلُّ بتلك المعرفة.. وهذا يعني أنَّ اللغة ليست المصدر الوحيد الذي يُمكن لمَنْ أحكمه أن يفسِّر آيَ القرآن المجيد؛ إذ لا بدَّ للمفسِّر من ستكمال أدوات، والإلمام بمصادر أُخرى يعتمد عليها في تفسيره؛ كالسنة النبوية، وأسباب النزول، وقصص الآي، وأحوال من نزل فيهمُ الخطاب، وتفسيرات الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم، وغيرها من المصادر التي لا يمكن ستقاؤها عن طريق اللغة.. وبهذا يُعلم أنَّ التفسير اللغويَّ جزء من علم التفسير فسيح الأرجاء.. ومع أنَّ حيِّزه كبير، والحاجة إليه

(١) قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ/ ص٤٥٣.

ماسة؛ فإنه لا يمكن له بحال أن يستقلَّ لوحده ويضطلع بتفسير القرآن الكريم(١)..

وهذا كلُّه يفيد بأنَّ □عتماد اللغة بمفردها من دون النظر في غيرها من المصادر سيوقع مُعتمِدَها حتماً في الخطأ والزَّلل في التفسير؛ إذ قد يكون المدلول اللغويُّ غيرَ مراد في الآية؛ كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ]، فلو فسَّرتَ الصلاة بالمدلول اللغويِّ؛ لقلتَ: نُهي الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم عن الدُّعاء لهم!! وقد يوقع في التضارب الظاهري فيما بين النُّصوص الشرعية؛ ومن ذلك: النصُّ الإلهي الآمر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ]، يُقابله النصُّ النبويُّ الناهي: ((لا تُصلُّوا على النبيّ))(٢)!! فلو ذهبنا نتفهم النصَّ ونتدبَّره بعيداً عن اللغة وأحكامها ومدلولاتها؛ لوقعنا في الخطأ والإرباك وسوء الفهم.. وما أن نستفتي اللغة ومعجماتها حول بعض دلالات لفظ «النبيّ»؛ حتى تُبادرنا بالإجابة بأنَّ من معانيه فيها أنه مأخوذٌ من النَّبْوة؛ وهي ما □رتفع من الأرض و□حدودب؛ فيكون معنى الحديث: لا تُصلُّوا على الأرض المرتفعة المحدودبة؛ فالمعنى هنا - كما بدا لنا جلياً - لغويٌّ بحت!! في حين إنَّ المعنى في الآية الكريمة - كما لا يخفى على الجميع خفاء المعنى في الحديث - □صطلاحي وشرعي مشتقٌّ من اللغة ومنحدر منها..

(١) ينظر: معالم التنزيل (١/ ٤٥)، وأصول التفسير وقواعده/ ص٩٤، والتفسير اللغوي/ ص٥٠.

(٢) ينظر: الفائق في غريب الحديث (٣/ ٦٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١).

فإنْ نحن ألفينا من يفسِّر القرآن بحسب الدلالة اللغوية، ولم يُلزم نفسه إلا بالتفسير اللغوي؛ فإنه سيفسِّر كلَّ المواضع التي وردتْ فيها لفظة كـ«الصلاة»، أو «النبيّ» بمعنىً واحد؛ وهو الدعاء، أو الأرض المرتفعة المحدودبة!! وهذا خطأ فادح؛ إذ ليس كلُّ ما صحَّ لغة؛ صحَّ تفسيراً[1]..

فإن قيل: سبق لك أن قرَّرتَ في غير ما موضع من بحثك هذا بأنَّ القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين، فلماذا كان تفسيره وبيانه بمجرَّد اللغة خطأ؟!! قلتُ: لا بدَّ من ملاحظة خصوصية اللفظ الشرعي - القرآني والنبوي - فكمْ من لفظ جاء تفسيره وبيان معناه في لسان الشرع، وهو أدرى بمُراده!! وكمْ من لفظ يجري على معنىً في عُرْف الصحابة رضي الله عنهم غيره في عُرْف اللغة!! فالهجوم والإقدام على تفسير اللفظ الوارد في النصِّ الشرعي بمجرَّد المعنى اللغوي يلغي المعهود الشرعي، أو العُرْفي للفظ الذي هذا سبيله!!

وبعبارة أُخرى: فإنَّ مما ينتج عن الهجوم على تفسير الألفاظ الشرعية بمجرَّد المعنى اللغوي من دون البحث عن الحقيقة الشرعية والعُرْفية: إهمال المُرادات، وضياع المعاني الشرعية في تفسير اللفظ؛ مما يشيع تفسيرها بغير ما وُضعتْ له شرعاً بين أوساط المُتلقِّين لها، ويُمهِّد بالتدريج لتسويغ بعض البدع - التي يبرأ منها الدينُ - ويسعى لترويجها[2]!!

فليس كلُّ ما جاز لغة؛ جاز تفسيراً.. إذ لو فُسِّر اللَّفظُ بحسب دلالته اللغوية من دون مراعاة المعنى الشرعي؛ فهذا تفسير لغويٌّ لا ينبغي □عتماده والمصير إليه مُجرَّداً في تفسير القرآن؛ لأنه ليس المعنى الوحيد المحتمل للفظ؛ بلْ يوجد هناك في كلِّ لفظ يرد في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف أربعُ □حتمالات من حيث المعنى، وتتنوَّع إرادته وتدور بينها: فإما أن يكون لهذا اللفظ معنىً

(١) ينظر: شرح كتاب (مقدِّمة في أصول التفسير)، ص٧٥- ٧٧.
(٢) ينظر: المرجع نفسه/ ص١٨٦.

شرعيٌّ، وإما أن يكون له معنىً عُرْفيٌّ، وإما أن يكون له معنىً لغويٌّ.. فإن لمْ يوجدْ أيٌّ من تلك المعاني الثلاثة؛ نُظر فيه بحسب الحقيقة أو المجاز..

فإذا فُسِّر اللفظ من حيث اللغة قبل النظر في □حتمال وجود معنىً شرعيٍّ أو عُرْفيٍّ له مراد في ذلك الموضع؛ عُدَّ ذلك هجوماً وتجنِّياً على تفسير هذا النصِّ الشرعيِّ أو ذاك ممَّا ورد فيه لفظ كهذا؛ ذلك أنه ليس كلُّ معنىً صحَّ لغة؛ صحَّ تفسيراً.. فينبغي - بلْ يتحتَّم - على من أقدم على تفسير غريب القرآن أن يفسِّره بحسب المراد منه؛ فإنْ كان ذلك المراد في هذا الموضع شرعياً؛ أورده، وإن كان عُرْفياً؛ أثبته، وإنْ كان لغوياً؛ □عتمده.. وإلا □نتقل عنها جميعاً إلى بيانه بحسب ما تهدي إليه قواعد الحقيقة، أو أساليب المجاز..

وهناك قومٌ من المفسِّرين ممن □ستند في تفسيره على الاستدلال، وراح يفسِّر الآيات والأحاديث بحسب ما تُمليه عليه قواعد اللغة؛ فنتج عن ذلك إهمال صريح وإقصاء واضح للمُرادات الشرعية والعُرْفية؛ فأضاعوا الحقائق الشرعية والحقائق العُرْفية للألفاظ؛ وتمخَّض عنه تفسير قرآن ليس هو التفسير الذي أراده الله سبحانه وتعالى؛ إذ لا يعدُّ المعنى القاموسيُّ أو المعنى المعجميُّ كلَّ شيء في إدراك معنى الكلام وفقهه والإلمام به[1]!!

ومع ذلك؛ فإنَّ التفسير اللغوي يُشكِّل لبنة متماسكة، وركناً حيوياً، وجزءاً مهماً من ميدان علم التفسير الرحْب، وهو من أكبر مصادر التفسير وأجلِّها؛ لذا لا يمكن أن يخلو منه كتاب في التفسير □لبتة إلا أن يكون من المصنَّفات المنحرفة التي لا تعتمد لغة العرب في بيان معاني القرآن الكريم؛ كتفاسير الباطنية، والفلاسفة، وبعض المتصوِّفة.. وغيرها.. وهذا ظاهر لمن يقرأ مدوَّنات هذا العلم وأسفاره المختلفة؛ كتفاسير: الطبري، و□بن عطية،

(١) ينظر: من أسرار اللغة/ ص٢٣٢، وأثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى/ ص١.

والزمخشري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، و□بن كثير، والشوكاني، و□بن عاشور رحمهم الله... الخ[١]؛ فـ((إذا تأملت تفسير القرآن المجيد في الآثار المنقولة عن الصحابة، أو التابعين، أو أتباعهم رضي الله عنهم، وفرزتَ كلَّ نوع من هذه الآثار المنقولة؛ فإنك ستجد ما كان مرجعه اللغة له الحظ الأوفر، والنصيب الأكثر؛ بلْ ستجد أنَّ تعدُّد مدلولات لفظ من ألفاظ القرآن في لغة العرب كان سبباً في □ختلاف المفسِّرين، فمنهم من □جتهد رأيه و□عتمد معنىً، ومنهم من □جتهد رأيه و□عتمد معنىً آخر، وكلاهما كان مُعتَمَدُه الأول وُرُود هذا المعنى في لغة العرب، ثمَّ صحة حمل هذا اللفظ على الآية))[٢]؛ فاللغة العربية هي لغة القرآن، والقرآن نزل بها؛ لذا فكلٌّ منهما يُكمِّل الآخر ويكتمل به، ولا غنى، ولا □نفصال لأحدهما عن الآخر بأيِّ حال من الأحوال..

بعدما سبق بيانه؛ يمكن أن يفهم أنَّ معرفة اللغة العربية شرط في فهم القرآن الكريم؛ لأنَّ من أراد تفسيره وهو لا يعرف اللغة التي نزل بها؛ فإنه - لا شكَّ - سيقع في الزلل؛ بلْ سيُحرِّف الكلم عن مواضعه، كما حصل من بعض المبتدعة الذين حملوا القرآن على مصطلحات أو مدلولات غير عربية... ومن أعظم من زعم أنه لا يحتاج إلى لغة العرب: الباطنية؛ لكي يتسنَّى لهم تحريف كتاب الله جلَّ شأنه على ما يريدون مما لا يضبطه لغة، ولا عقل، ولا نقل، وكلُّ تفسير ليس له أصل من لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم؛ فهو تفسير بالهوى والتشهِّي، مردود على صاحبه كائناً من كان[٣]!!

إنَّ لغة العرب الأوائل كانت الحاضرَ الدائم، والفيصل في حسم الخلاف وإزالة اللبس والإشكال عما أُبهم من الدلالات على

(١) ينظر: التفسير اللغوي/ ص٦٧٤.
(٢) ينظر: المرجع نفسه/ ص٦.
(٣) ينظر: الصواعق المرسلة (١/ ١٨٩- ١٩١)، والتفسير اللغوي/ ص٤٨، و٦١٨.

أساطينها وفرسانها منذ العهد الأول، وإنها كانت حجرَ الأساس لإرساء دعائم الدين، والأسَّ المتين الذي شُيِّدتْ عليه أركانُه!! جدير بالذكر أنه ما من معنىً لغوي أورده أرباب المعجمات العربية أو القرآنية في معجماتهم إلا وهو مستقىً مما تعارفه العرب في لغتهم، و□ستعملوه في مخاطباتهم، وتداولوه في سَنَنهم في الخطاب، أصلاً أو □ستعمالاً؛ ما خلا بعض الألفاظ والتعبيرات المعدودة والمحدودة التي □نفرد بها القرآن المجيد؛ إذ جاءت بمعان شرعية وأخذها العرب عنه فيما بعد..

الخاتمة

في ختام هذا البحث الموجز لا يسعني إلا أن أُثبت طائفة من الحقائق المهمة التي وردتْ بين دفتيه؛ وهي:

- إنَّ اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وهذا يُحتِّم علينا □لتماس الدلالة اللغوية الأصلية للَّفظة القرآنية؛ فإنها ترفدنا بحسٍّ العربية للمادَّة في مختلف □ستعمالاتها، ومرجع هذا معجمات اللغة، و□ستعمالات العرب..
- إنَّ فهم اللغة التي نزل بها الوحي هو السبيل الأهمُّ لفهم مُراد الله جلَّ في علاه، وكم من شبهات بُنيتْ على مغالطات لا يحلُّ إشكالاتها إلا الاستعمال العربي الفصيح!!
- لقد جاء البيان القرآني الفريد بكلماته الإفرادية من معدن ما كان في لسان العرب إبان نزول الوحي، ولم يُسقطْ عليهم مفردات لم تكنْ قد طرقتْ آذانهم من قبل، ولم تكنْ ألسنتهم قد نطقتها و□عتادتها ومرنتْ عليها.. وهذا يقتضي كلَّ قائم في النظر في بيان القرآن الكريم أن يقوم أولاً بالنظر في مفردات الآيات؛ فينظر في صورها ومدلولاتها في لسان العربية، وطريق دلالتها على تلك المدلولات؛ ليتَّخذ من ذلك زاداً كريماً في سفره المديد في طريق البيان القرآني العلي المعجز..

- تعدُّ الكلمة المفردة أساس اللغة وحجر الزاوية في بناء العربية التي نزل بها القرآن الكريم؛ لذا قرر جلُّ العلماء أنَّ العناية بها وبيان أحكامها في اللغة قبل □ستعمالها في التركيب أمرٌ لا غنى للمفسِّر عنه بأيِّ حال من الأحوال..
- يتوقَّف فهم المراد من أيِّ نصٍّ كلاميٍّ - إلى حدٍّ بعيد - على معرفة مدلولات الألفاظ اللغوية الواردة فيه بأبعادها المختلفة، وإنَّ اللفظ هو الأداة لإيصال المعنى إلى المخاطب، وإنَّ التقصير في تحديد معناه قد يؤدِّي إلى وصول المعنى إلى المخاطب بشكل مغلوط..
- كانتْ لغة العرب الأوائل الحاضر الدائم، والفيصل في حسم الخلاف وإزالة اللبس والإشكال عما أُبهم من الدلالات على أساطينها وفرسانها منذ العهد الأول، كما كانتْ حجرَ الأساس لإرساء دعائم الدين، والأسَّ المتين الذي شيِّدت عليه أركانه!!
- يُشكِّل التفسير اللغوي لبنة متماسكة، وركناً حيوياً، وجزءاً مُهمَّاً من ميدان علم التفسير الرَّحْب، وهو من أكبر مصادر التفسير وأجلِّها؛ لذا لا يمكن أن يخلو منه كتاب في التفسير □لبتة إلا أن يكون من المصنَّفات المنحرفة التي لا تعتمد لغة العرب في بيان معاني القرآن الكريم.. ومع أنَّ حيِّزه كبير، وأرجاءه فسيحة، والحاجة إليه ماسة؛ فإنه لا يمكن له بحال أن يستقل لوحده ويضطلع بتفسير القرآن الكريم.. فالهجوم والإقدام على تفسير اللفظ الوارد في النصِّ الشرعيِّ بمجرَّد المعنى اللغويِّ يلغي المعهود الشرعيَّ، أو العُرْفيَّ للَّفظ الذي هذا سبيلُه!!
- إنَّ ممَّا ينتج عن الهجوم على تفسير الألفاظ الشرعية بمُجرَّد المعنى اللغوي من دون البحث عن الحقيقة الشرعية والعُرْفية: إهمال المرادات، وضياع المعاني الشرعية في تفسير اللفظ؛ مما يُشيع تفسيرها بغير ما وضعتْ له شرعاً بين أوساط المتلقين لها، ويُمهِّد بالتدريج لتسويغ بعض البدع - التي يبرأ منها الدين - ويسعى لترويجها..

- إذا فُسِّر اللفظ بحسب دلالته اللغوية من دون مراعاة المعنى الشرعي؛ فهذا تفسير لغويٌّ لا ينبغي □عتماده والمصير إليه مجرَّداً في تفسير القرآن؛ لأنه ليس المعنى الوحيد المحتمل للفظ.. فإنْ نحن ألفينا من يفسِّر القرآن الكريم بحسْب الدلالة اللغوية، ولم يُلزمْ نفسه إلا بالتفسير اللغويِّ؛ فإنه سيفسِّر كلَّ المواضع التي وردتْ فيها لفظة ما بمعنىً واحد، وهذا خطأ فادح؛ إذ ليس كلُّ ما صحَّ لغة؛ صحَّ تفسيراً..
- ليست اللغة المصدرَ الوحيد الذي يمكن لمَنْ أحكمه أنْ يُفسِّر آيَ القرآن المجيد؛ إذ لا بدَّ للمفسِّر من □ستكمال أدواتٍ، والإلمام بمصادر أُخرى يعتمد عليها في تفسيره؛ كالسُّنة النبوية، وأسباب النزول، وقصص الآي، وأحوال مَنْ نزل فيهمُ الخطاب، وتفسيرات الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم، وغيرها من المصادر التي لا يمكن □ستقاؤها عن طريق اللغة..

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أثر الدرس اللغوي في فهم النصِّ الشرعي: بحث أعدَّه الأستاذ الدكتور محمد المختار محمد المهدي/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٣- أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى: بحث أعدَّه الدكتور رشيد بلحبيب/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول - المغرب/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٤- أُصول التفسير وقواعده «ضمن سلسلة بحوث في العلوم القرآنية»: الشيخ خالد بن عبد الرحمن العك/ دار النفائس - بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٥- الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن: بحث أعدَّه الأستاذ الدكتور محمود توفيق محمد سعد (أُستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر)، مكتبة وهبة - القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، مراجعة: صدقي محمد جميل/ دار الفكر - بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٧- بنية العقل العربي - دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية: د. محمد عابد الجابري المغربي/ مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٨- التأويل الباطني في القرآن الكريم «أُطروحة دكتوراه»: خليل رجب حمدان الكبيسي/ إشراف: أ.د. محمد رمضان عبد الله/ جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٩- تاريخ آداب العرب: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

١٠- التطوُّر الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم - دراسة دلالية مقارنة: عودة خليل أبو عودة/ مكتبة المنار - الزرقاء، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١- التطوُّر اللغوي التاريخي: أ.د. إبراهيم السامرائي/ دار الأندلس - بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٢- التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية «أُطروحة دكتوراه»: نوَّار محمد إسماعيل الحيالي، إشراف: أ.م.د. عماد عبد يحيى الحيالي/ جامعة الموصل - كلية الآداب، محرَّم ١٤٢٥هـ/ شباط ٢٠٠٤م.

١٣- التفسير البياني للقران الكريم: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ/ دار المعارف - القاهرة، ط٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

١٤- التفسير اللغوي للقرآن الكريم «أصله أُطروحة دكتوراه»: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيَّار/ دار ابن الجوزي - الدَّمَّام، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٥- جامع البيان في تأويل آي القرآن، الشهير بـ«تفسير الطبري»: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار سويد - بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م.

١٦- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: أبو حاتم أحمد بن حمدان الورسامي، الليثي، الرازي (ت٣٢٢هـ)، تحقيق وتعليق: حسين بن فيض الله الهمذاني/ دار الكتاب العربي - القاهرة، ط٢/ ١٩٥٧م.

١٧- شذرات الذهب - دراسة في البلاغة القرآنية: بحث أعدَّه الأستاذ الدكتور محمود توفيق محمد سعد/ مكتبة وهبة - القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٨- شرح كتاب «مقدِّمة في أصول التفسير»، لشيخ الإسلام ابن تيمية: محاضرات صوتية للشيخ محمد بن عمر بن سالم

بازمول، فرَّغ الأشرطة وضبط الآيات والأحاديث وخرَّجها: كوكبة من طلبة العلم/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، ١٤٢٣هـ/ ١٤٢٤هـ.

١٩- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطِّلة: ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد بن علي الدخيل الله/ دار العاصمة - الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٠- علم اللغة: أ.د. حاتم صالح الضامن/ جامعة بغداد - كلية الآداب، ١٩٨٩م.

٢١- الفائق في غريب الحديث: جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار صادر - بيروت، ط١/ ١٣٨٥هـ.

٢٢- قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد: عثمان علي حسن/ دار الوطن - الرياض، ط١/ ١٤١٣هـ.

٢٣- قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ: تأمُّلات الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني/ دار القلم - دمشق، والدار الشامية - بيروت، ط٤، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٤- القواعد النحوية والقراءات: بحث أعدَّه الدكتور ياسر الشمالي (تدريسي في كلية الشريعة بجامعة اليرموك - عمَّان)، عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٢٥- اللسان العربي المبين: بحث أعدَّه الدكتور جعفر دگ الباب، ضمن سلسلة بحوث ومقالات في التراث اللساني العربي في ضوء اللسانيات الحديثة/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٢٦- اللغة العربية - التحديات والمواجهة: بحث أعدَّه الأستاذ الدكتور سالم مبارك الفلق/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٢٧- لغة القرآن: عبد الجليل عبد الرحيم/ مكتبة الرسالة (بيروت)، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٨- مباحث في علم التفسير: أ.د. عبد الستار حامد الدباغ/ دار الحكمة - الموصل، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٩- محاسن التأويل، الشهير بـ«تفسير القاسمي»: الإمام محمد جمال الدين بن قاسم الحلاّق (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٣٠- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل أبراهيم، وعلي محمد البجاوي/ المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٨٦م.

٣١- مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد: عثمان علي حسن/ دار الوطن - الرياض، ط١/ ١٤١٣هـ.

٣٢- معالم التنزيل، الشهير بـ«تفسير البغوي»: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفرَّاء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، تحقيق وتخريج وضبط: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش/ دار طيبة - الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣٣- المعاني السبعة في ألفاظ القرآن: فاروق البرزنچي/ دار الشؤون الثقافية - بغداد، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٤- المعجمية العربية: من أبحاث الندوة التي عقدها المجمع العلمي العراقي للفترة ما بين (١٥- ١٦) من شهر شعبان لعام ١٤١٢هـ/ الموافق (١٨- ١٩) من شهر شباط لعام ١٩٩٢م.

٣٥- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضّل الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي/ دار القلم - دمشق، والدار الشامية - بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٦- من أسرار اللغة: أ.د. إبراهيم أنيس/ مكتبة الأنجلو مصرية - القاهرة، ط٧، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٧- المنهج القرآني وصياغة المصطلحات: أ.د. كامل حسن البصير/بحث منشور في مجلَّة المجمع العلمي العراقي/المجلَّد (٣١)، ج٣ - شعبان ١٤٠٠هـ/ تموز ١٩٨٠م.

٣٨- النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات مجد الدين بن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي/ المكتبة العلمية - بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.